

من هم

الخوارج؟

تأليف

الشيخ علي يحيى معمر





من هم الخوارج؟

تأليف

الشيخ علي يحيى معمر

ترتيب وتقديم

الشيخ أحمد بن سعود السيابي



مقدمة

المؤلف هو الشيخ العلامة علي يحيى معمر، وقد وُلد في جبل نفوسة بليبيا سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م، فدرس في وطنه ليبيا، ثم انتقل إلى تونس للدراسة فيها في جزيرة جربة وفي جامع الزيتونة، وبعد ذلك كان انتقاله إلى الجزائر ملتحقا بمعهد الحياة بمدينة القراة بولاية غرداية، وبعد عودته إلى ليبيا كانت له نشاطات دعوية وثقافية كبيرة.

وله عدد من المؤلفات، أهمها كتاب: الإباضية في موكب التاريخ، وكتاب: الإباضية بين الفرق الإسلامية. وقد تولى رحمه الله سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

ويأتي هذا البحث ليوضح من هم الخوارج ؟ وما هي حقيقتهم ؟ بتسلسل تاريخي منطقي ليجيب على هذا السؤال الكبير الذي شغل الأمة منذ عصر الفتنة الكبرى، وقد أزاح المؤلف الستار عن أصل الخوارج ونشأتهم.

على أنني أقول: إن روايات الخوارج وردت مطلقة ، يخرج فيكم، ووردت مقيدة بآخر الزمان ، يخرج في آخر الزمان، وإذا ما طبقنا القاعدة الأصولية القائلة بحمل المطلق على المقيد، فإن الطوائف التي خرجت وتخرج في آخر الزمان هي المقصودة بالروايات.

رحم الله المؤلف رحمة واسعة.

أحمد بن سعود السيابي

مسقط - سلطنة عمان

١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م



تمهيد :

هل الإباضية فرقة من الخوارج؟

قبل أن يجيب أي باحث عن هذا السؤال يجب أن يحدد معنى كلمة الخوارج وما تدل عليه.

يطلق بعض المؤرخين كلمة الخوارج، على أولئك الناس الذين اعتزلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عندما قبل التحكيم ورضي به؛ لأنهم في نظر هؤلاء نقضوا بيعة في أعناقهم، وخرجوا عن إمامة مشروعة. ويطلقها فريق من المتكلمين في أصول العقائد والديانات، وهم يقصدون بها الخروج من الدين، استناداً إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ناساً من أمتي يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» وقد ورد الحديث بروايات متعددة والأفاض مختلفة^(١).

أما الفريق الثالث، فيطلقها ويقصد بها الجهاد في سبيل الله، استناداً إلى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (النساء: ١٠٠).

١- ورد في مسند الربيع بن حبيب، الجزء الأول صفحة ١٢ الطبعة الثانية ١٣٤٩ هـ: هكذا أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، تنظر في القدح فلا ترى شيئاً، ثم تنظر الريش فلا ترى شيئاً وتتماهى في الفوق.





وإذا أباح بعض المؤرخين لأنفسهم أن يطلقوا هذه الكلمة - كلمة الخوارج - على جميع أولئك المتمسكين بولاية عليّ، المصيرين على أنها حق شرعي لا يجوز فيه التردد، وأنه ليس من حق حتى عليّ نفسه، أن يشك في إمامة أجمعت عليها الأمة، ولا أن يتساهل فيها، أو يقبل عليها المساومة، وأن معاوية وأتباعه فئة باغية، يجب عليهم الرجوع إلى حظيرة الإمامة والأمة، إما طوعا وإما كرها بنص الكتاب، فإذا رضخ عليّ لطلب البغاة، ووضع الحق اليقيني موضع الشك، وتنازل عن الواجب الذي أناطته به الأمة، وألزمته به البيعة، فإن هذه البيعة تتحل من أعناقهم، وهم بقدر الخيار.

قلت: إذا أباح بعض المؤرخين لأنفسهم، أن يطلقوا كلمة الخوارج، على هذه الطائفة، فإنه يحق لنا أن نترث ونتبّت حتى يستبين لنا طريق الصواب، ويتضح منهج الحق.

ولكي ننصف هؤلاء القوم، الذين أطلق عليهم بعض المؤرخين لقب الخوارج، وحاربهم إخوانهم المسلمون بالدعاية الكاذبة والصادقة، وقتلوهما كما لم يقاتلوا حتى أعداءهم في ذلك الحين، وطاردوهم كما لم يطاردوا حتى الزندقة والإلحاد.

لكي لا نظلم هؤلاء القوم، ولكي نوضح موقفهم كما يروونه في ذلك الحين، دون أن يتسرب إليه خطأ التاريخ المفرض، أو تحامله عليهم، ودون أن نهتم بالدعاية الكاذبة، التي تقلب حقائق التاريخ، قلبا لا



يرضاه التفكير السليم، والمنطق القويم، تلك الدعاية التي تعاون على بثها وإشاعتها، كل من الأموية المتعصبة المتسلطة، والشيعية الغالية المتطرفة، لكي نوضح موقف هؤلاء القوم، يجب أن نستعرض حركة الثورات^(٢) منذ فجر الإسلام ونضع صورته الواضحة بين أيدينا، لتصح المقارنة، ويكون الاستنتاج أقرب إلى الحق، وأدنى إلى الدقة.

السياق التاريخي

عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفاح مستمر ضد الوثنية التي تسيطر على العالم، وجهاد متواصل ضد القوى المتكتلة التي تعارض انطلاقة الدعوة لتحرير الإنسان من عبادة غير الله، فلما جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأتم الله نعمته على أمة محمد، ورضي لهم الإسلام ديناً، توي في رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعدما أدى الرسالة، وبلغ الأمانة.

وبايع الناس أبا بكر خليفة له، ولكن بعد هذه المبايعة مباشرة، وقعت أول ثورة في الإسلام، من أناس كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن

٢- لقد استعملت كلمة الثورة في حلقات هذا الكتاب، وأنا أقصد بها الحركة التي يقوم بها ناس لتغيير وضع لا يرضيهم دينياً أو سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً مهما كانت بواعث هذه الحركة، وأياً كان هذا الوضع، ولم أقصد باستعمال كلمة ثورة في هذه الحلقات، ما قد تشعره هذه الكلمة من المعنى العميق الذي يقصد به التغيير الجذري في حياة أمة وعقيدتها. (المؤلف)





محمدا رسول الله، وكان من هؤلاء التأثيرين من ارتد على عقبيه، وأنكر ما اعترف به، ومنهم من عزت عليه أمواله، فامتنع عن أداء الزكاة ...

فكان في الموقف الحازم الذي وقفه منهم خليفة رسول الله، رغم معارضة بعض الصعابة له، كان في هذا الموقف الحازم الصلب، إقرارا لحكم الله، وتثبيتا لقدم الإسلام، ونصرا لدين الله، وقضاء مبرما على أصول هذه الثورة أو الفتنة، والقائمين بها، فاستتب الأمن، واستقرت الأمور واستمر المسلمون في أداء الرسالة التي دعا إليها محمد، طيلة خلافة أبي بكر، وطيلة خلافة عمر، ذلك العهد المجيد الذي يعتبر بحق امتدادا لعصر النبوة.

وتولى عثمان الخلافة، فسارت الأمور ست سنوات كاملة سيرتها في زمن الخليفتين السابقين، ثم بدأت الأحوال تتغير، وظهرت مشاكل جديدة، وتعثّر سير الخلافة فقد أصبح نقد أعمال الخليفة والنيل من سلوكه يتفشى على كثير من الألسنة، ويجري في كثير من المجتمعات، ولم تتم ست سنوات أخرى حتى كانت الثورة الجامحة التي ذهبت فيما ذهبت بحياة عثمان بين سمع وبصر كثير من الصعابة، وكانت هذه الثورة الثانية بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام. وبايع المسلمون علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين، وكان أول من





بايع: طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام، ولكن ما كادت أن تتم البيعة حتى كان طلحة والزبير يحملان لواء الثورة مع جماعة من كبار الصحابة، وقد استظهروا بأهم المؤمنين عائشة.

ووقف الخليفة مع الثائرين موقفا حازما صلبا، وقتل في هذه الثورة الطاحنة عدد غير قليل من المسلمين، ذهب فيمن ذهب فيها طلحة والزبير، وتابت أم المؤمنين، ورجع بقية الثائرين إلى حظيرة الإمامة والأمة، وكانت هذه هي الثورة الثالثة في الإسلام.

لم تكد تنتهي هذه الحرب الطاحنة، ويعود إلى البلاد الهدوء والاستقرار، ويعرف معاوية أن الثورة فشلت، وأنه معزول عن ولاية الشام لا محالة، حتى أعلن الثورة بالشام، وهو حينئذ عامل من عمال الخليفة، وأظهر أنه يطالب بدم عثمان، وقد استعد أمير المؤمنين لإطفاء هذه الثورة، كما أطفأ الثورة التي سبقتها، وجهاز جيشه القوي، وسار به نحو الشام، حيث التقى بالجند الثائر في الموضع المعروف (صفين) وبدأت المعركة، ثم استمر القتال حتى ظهرت طلائع النصر، وأشرف جيش الخليفة على امتلاك زمام المعركة، ولم يبق للقضاء على هذه الثورة الجامحة إلا لحظات، عبر عنها الأشتر النخعي (بفوق الناقه) التجأ الثائرون إلى الحيلة والخدعة ولجأوا إلى المكر والمكيدة، فرفعوا المصاحف وهم يصيحون «يا أهل العراق بيننا وبينكم كتاب الله».





التحكيم

طلب الثائرون هدنة، ودعوا الخليفة الشرعي وجيشه إلى تحكيم حكمين، وقد فطن أمير المؤمنين وبعض من جيشه إلى هذه الخدعة، وعرفوا القصد من هذه الهدنة، ولكنه بدلا من أن يقف موقفه الحازم، ويواصل حربه ضد الثائرين، حتى يتحقق النصر- وقد تحققت بشائره - وُلقي البغاة بأسلحتهم، ويعودوا إلى صف الأمة الذي انشقوا عنه، وبغوا عليه، بدلا من أن يقف موقفه الحازم ذلك، استجاب لدعاة الهزيمة، وأخذ بنصيحة طلاب الدعة، وأكثرهم موعود من معاوية أو من عمرو بن العاص^(٢)، ورضي بالتحكيم وقَبِل الهدنة، وأمر بإيقاف القتال في الحال.

وهكذا انتهت هذه الثورة الرابعة إلى هذا الموقف المائع، الذي جعل حق عليّ في الخلافة يتساوى مع حق معاوية، وجعل نصيب البغاة الثائرين من الصواب يساوي نصيب جيش الأمة الذي يدافع عن خلافة شرعية تمت بالشورى، وانعقدت بالبيعة.

وتداعى الذين فطنوا إلى خدعة الهدنة من أصحاب عليّ وحذروه من قبولها، وأخبروه أن قبولها يعني الشك في خلافته والتنازل عنها،

٢- قال أبو العباس الشماخي في السير ص ٤٨ (وكان معاوية بمنهم).





وكانوا مصرين أنَّ الخلافة الشرعية حق لا يتطرق إليه الشك، ولا يجوز فيها الرجوع، ولا تقبل فيها المساومة^(٤).

وإذ خطر لعلِّي أن يستجيب لدعاة الهزيمة من جيشه، والماكرين من عدوه، وأن يشك في نفسه، والحق الذي بيده، ويتنازل عن الشرف الذي أولاه المسلمون، ويساوي بينه وبين أحد عماله، في قضية أخذ فيها عهداً من الأمة، وأخذت منه فيها موثقاً وعهداً، ورضخ إلى تحكيم رجال فيما نزل فيه حكم الله.

حين فعل عليّ ذلك، تداعى أولئك الذين لم يرتضوا التحكيم، وحذروا علياً من قبوله، وهم يرون أنَّ معاوية باغ لا حق له، وأنَّ بيعه عليّ قد انفسخت بموافقته على الهدنة ورضائه بالتحكيم، فلم تبق لأحد في أعناقهم بيعه، وليس لأحد عليهم ميثاق.

تداعوا إلى أن يعتزلوا جيش عليّ، وركنوا إلى موقع يسمى حروراء فانزلوا فيه، ينتظرون تجدد الحوادث، واتجاه الأمة في قضية الخلافة، ويمكن أن يسمى هذا الانعزال عن جيش عليّ: بالثورة الخامسة، ولو أنَّ هذه الثورة إلى هذا الحين كانت ثورة سلبية، وموقف

٤- منهم وعمار بن ياسر الذي نادى: "هل من رائج إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين" فانضم إليه ليفي من المقاتلين وقاتلوا جيش معاوية حتى استشهدوا جميعاً، وعمار بن ياسر هو الصحابي الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "يحي عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار".



أصحابها كان موقف المحايد الذي ينتظر مجرى الأمور، وقد جرت الأمور بأسرع مما يتوقع لها، فما بلغ الموعد الذي حدده الطرفان لانتهاه الهدنة حتى اجتمع الناس، وأعلن أبو موسى الأشعري مندوب عليّ: عزل عليّ عن الخلافة، وترك الأمر شورى بين المسلمين يختارون مَنْ يشاؤون.

كان هؤلاء المحايدون يتتبعون منطق الحوادث والواقع، فهم ينظرون إلى معاوية نظرتهم إلى باغ يحاول أن يفرض نفسه بال المكر والحيلة، ولذلك فهم لا يقيمون أي وزن لدعوى عزله، فهو لم يتولّ أمر الخلافة إلى ذلك الحين، لا بالإكراه ولا بالشورى، فلا معنى لعزله من منصب ليس هو فيه، كما لا يقيمون أي وزن لتولية عمرو بن العاص له، لأن عمرا لم يفوضه المسلمون في تولية أمير المؤمنين.

أما نظرتهم إلى عليّ فقد كانوا يتوقعون أن يتفق الحكمان على إقراره في الحكم، وحينئذ ترجع إلى عليّ الصبغة الشرعية التي تنازل عنها لإثباتها، ويجب على المسلمين حينئذ أن يوحدوا صفوفهم تحت طاعته ما قام فيهم بكتاب الله.

ولكن المندوب الذي اختاره عليّ ليمثله في هذه القضية الظالمة، أعلن أنه عزل عليّاً عن أمر المسلمين، وأن الأمر أصبح للشورى والاختيار، وتأييد موقف هؤلاء المحايدين، وانظم إليهم عدد آخر ممن كانوا يقفون إلى جانب عليّ حتى ذلك الحين، وبعثوا الأمر فيما بينهم



على أساس أن المسلمين أصبحوا دون خليفة، فهذا معاوية باغ ظالم لا يمكن أن يتولى أمر المسلمين، وهذا عليّ يعزله المندوب الذي اختاره للتحكيم، وإذن فليختاروا

واختاروا عبدالله بن وهب الراسبي، فبايعوه أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين بعد عليّ بن أبي طالب، فهو الخليفة الشرعي الخامس في نظرهم.

انقسام الأمة

وبهذه الخطوة أصبحت الأمة الإسلامية منقسمة إلى ثلاث دول: دولة يرأسها معاوية - وإن لم يبايعه عليها أحد إلى ذلك الحين- ودولة يرأسها عليّ بن أبي طالب بعد أن فشلت في نظره حكومة الحكمين - وعاد فاستمسك بالبيعة الأولى دون أن يعترف بعزل أبي موسى الأشعري له مندوبه في قضية التحكيم- ودولة يرأسها عبدالله بن وهب الراسبي- بعد أن بايعه جمع كبير من الذين انفصلوا عن عليّ عند قبوله التحكيم، ثم عند إعلان الحكم بعزل عليّ عن الخلافة- ومع كل فرقة من هذه الفرق جمع غير قليل من كبار الصحابة، وفيهم بعض المشهود لهم بالجنة^(٥). على أن هناك فريقاً رابعاً اعترفوا هذا النقاش الذي وقع بين المسلمين،

٥- من المشهود لهم بالجنة عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقتل في صفين مع علي، بعد أن رفعت المصاحف، فلم يستجب لدعوة الهدنة واندفع إلى المعركة حتى قتل، وقد قيل لمعاوية في ذلك فأجاب بقوله: (قتله من أخرجه). ومن المشهود لهم بالجنة حرقوص بن زهير السعدي، فقد حدثت عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يوماً: أول من يدخل من هذا الباب، من أهل الجنة، فدخل حرقوص بن زهير السعدي ولحيته نقط ماء، وقد تكرر الحديث ثلاثة أيام. وقتل حرقوص مع من أنكر التحكيم.





وبعدوا عن قضية الخلافة، فلم يطلبوها لأنفسهم، ولم يؤيدوا واحدا من طالبها، ومن هذا الفريق السادة: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد.

بعد أن جمع الإمام علي جيشه، ومن بقي طاعته من الجند، فكر في إعادة الكرة على معاوية وإخماد ثورته، ومحاولة إخضاعه من جديد. ولكن بعض أصحابه^(٦) أشاروا عليه بمحاربة عبد الله بن وهب الراسبي، هذا الخليفة الجديد الذي وصل إلى منصب الخلافة عن طريق البيعة، وهو الطريق الشرعي للخلافة.

واقترح علي بصواب هذا الرأي، فعدل عن محاربة معاوية إلى محاربة عبد الله بن وهب^(٧)، وكان أتباع عبد الله بن وهب يعتقدون أن إمامهم هو

٦- منهم الأشعث بن قيس الكندي، الذي أصر على الإمام علي بأن يقضي على أهل النهروان أولا ثم يثني بأهل الشام، ومواقف هذا الرجل -الأشعث بن قيس- مريبة جدا، وكان حريا بالإمام علي أن لا يأخذ منه، فقد كان من المرتدين بعد موت النبي ﷺ (البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٢)، والإمام علي عزله إثر توليه الخلافة إذ كان من ولاة عثمان بن عفان (البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١ ص ٢٩٠) وهو الذي ألح على الإمام علي بوقف الحرب مع معاوية وقبول فكرة التحكيم بل قرأ كتاب التحكيم على القنابل في جيش الإمام علي، وهو الذي أصر على إيفاد أبي موسى الأنصاري ليكون مقابل عمرو بن العاص (الطبري: تاريخ الطبري، ج ٣ ص ١٠٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧ ص ٢٧٨) وهو الذي ألح على الإمام علي بقصد أهل النهروان وثني عزمه عن معاوية، وأظهر الروايات التاريخية تثبت أن له دورا كبيرا في اغتيال الإمام علي فقد بات ابن ملجم ليلته تلك مناجيا الأشعث بن قيس حتى قارب الفجر بالطلوع فأمره بالقيام فتناول سيفه وقتل عليا (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٣٦).

٧- ندم الإمام علي على ما فعل في أهل النهر، وأوضح أنه أخطأ فيها فعل عندما قال لأصحابه: لا تقتلوا الخوارج - هذا المصطلح لم يكن ظاهرا في تلك الفترة الزمنية، وإنما هو من تصرف الرواة والمؤلفين - من بعدي فليس من قصد الحق فأخطأه (ويقصد أهل النهروان) كمن قصد الباطل فأصابه (ويقصد به معاوية)، وغضب الإمام علي حين قال له رجل: هؤلاء الذين لا يحسنون صنعا فقال الإمام علي: ويحك أولئك أهل التوراة والإنجيل ومما يروى في ذلك أنه عندما رجع من المعركة جات، ابنة له تهنئته بالنصر الذي حققه، فرأته وأحما حزينا، وقال: ماذا فعلنا؟ قلنا قرأنا وفقهنا، وذكر الطبري في تاريخه أن الإمام عليا كان يقول بعد معركة النهروان: مالي لا أسمع قراءة القرآن كما كنت أسمعها من قبل ؟؟؟

نشدت دوي الحل حين فقدتهم ويعسوب ذاك التحل منه خير





الإمام الحق وأنّ كلا من عليّ- بعد التحكيم والمزل- ومعاوية ثائران
يجب عليهما الرجوع إلى حظيرة الإمامة والأمة.

هذه خلاصة الثورات التي اشتعلت في ذلك العصر وذهب ضحيتها
عشرات الآلاف من أبطال الإسلام وقد حاولت أن أُلخصها بإيجاز قدر
المستطاع، مع عناية بإيضاح القضية من الزاوية التي يراها بها أولئك
الذين يطلق عليهم في بعض كتب التاريخ والأدب كلمة الخوارج، أولئك
القوم الذين يرون أنهم أصحاب الحق، وأن البيعة لم تتعقد بطريق شرعي
بعد التحكيم إلا لعبد الله بن وهب الراسبي، ذلك الخليفة الذي بايعه
جمهور من الأمة فيهم كثير من كبار الصحابة، من بينهم بعض المشهود
لهم بالجنة.

الخوارج من هم ؟

فإذا رجعنا إلى أول هذا البحث، وأردنا أن نستخلص منه
طائفة معينة، من الطوائف التي قامت بالثورة، لنطلق عليها اسم
الخوارج، فينطبق هذا الاسم عليها انطباقاً كاملاً، من الناحيتين
السياسية والدينية، ويكونون خوارج عن الخلافة وخوارج عن
الدين، وينطبق عليهم الحديث الذي أوردناه سابقاً.

فأي هذه الطوائف النائرة يمكننا أن نطلق عليها هذا الاسم
ملاحظين فيه معنى الخروج عن الإسلام ونحن مطمئنون إلى



صحة أحكامنا، ومنطقية استدلالنا وعدم انسياقنا إلى تيار معين من تيارات التاريخ؟؟؟

أما أكثر أوائل المؤرخين، وقد كانوا إما تبعاً للشيعة أو صنائع للأمويين، يعملون جاهدين على إرضاء متبوعيهم، فقد وجدوا الأمر سهلاً لم يكلفهم عناء، فأطلقوا كلمة الخوارج على العدو المشترك للأمويين والشيعة، أطلقوها على تلك الطائفة من المسلمين التي اعتزلت علياً عند التحكيم وبايعت عبد الله بن وهب إماماً، واثارت على الظلم، وفساد الحكم في الدولة الأموية، ومن بعدها ممن سار في ذلك الطريق، وتكبد عن سيرة الخلفاء الراشدين.

ولكي يصبغ أولئك المؤرخون هذه التسمية باللون المقبول، ربطوا المعنى السياسي لكلمة الخروج بالمعنى الديني، وقد عملت السلطة والدعاية في كلتا الطائفتين: الشيعة والأموية، على تثبيت هذا الإطلاق ونشر هذه الأقاويل، حتى وضعت مئات الأحاديث المكذوبة في الطعن على الخوارج، والتشنيع عليهم، ونسبة المروق والكفر إليهم جميعاً، أو إلى أفراد من رؤسائهم وزعمائهم.

وقد كان المهلب بن أبي صفرة القائد الذي ضحى بدينه لدنيا بني أمية، من أكثر الواضعين لهذه الأحاديث المكذوبة في الطعن على الخوارج، حتى اشتهر بذلك وعرفه به الناس، فكانوا يقولون





إذا رأوه خارجاً: (راح يكذب) ^(٨).

كان الأمويون والشيعة يحاولون بكل ما استطاعوا أن يلصقوا هذا اللقب، لقب الخوارج -بعد أن فسر بالخروج من الدين- بهؤلاء الثائرين الذين ينادون في إصرار وشدة، بالمباديء العادلة في الخلافة؛ وكان الشيعة يحاولون بما أوتوا من براعة أن يحصروها في بيت علي، كما كان غيرهم من الطامعين فيها، يشترط لها الهاشمية أو القرشية أو العروبة، حسب المصلحة السياسية لأصحاب الآراء في ذلك الحين.

وكل هذه الاتجاهات تجتمع على محاربة الاتجاه الذي اتجه إليه أتباع عبدالله بن وهب الراسبي، ذلك الاتجاه العادل الذي يرى أن المسلمين متساوون في الحقوق والواجبات، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ (الحجرات: ١٣) «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» ^(٩).

٨ - جاء في فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين الطبعة السادسة: (وكان مما حاربهم به المهلب ابن أبي صفرة اخلاق الأحاديث عليهم: فقد كان يضع الحديث ليشد به أزر قومه، ويضعف به من أمر الخوارج ما اشتد، و يقول: إن الحرب خدعة، وكان حينئذ إذا راوا المهلب خارجاً قالوا: راح يكذب ! وفيه يقول رجل منهم:

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تصدق ما تقول .

ولعل هذا وأمثاله هو السر فيما ترى من أحاديث ملئت بها كتب التاريخ والأدب في ذم الخوارج، وقد نقد هذه الأحاديث الشيخ ناصر السابعي في رسالة الماجستير المقدمة في جامعة آل البيت الأردنية، وطبعت الرسالة عدة طبعات بعنوان "الخوارج والحقيقة الغائبة"، ويمكن الحصول عليها من الشبكة المعلوماتية.

٩ - أخرجه أحمد [٢٣٥٦]، والبيهقي في ((الشعب)) [٥١٣٧]، وأبو نعيم في ((الحلية)) [٣ / ص ١٠٠] .





تأطير الثورات

قلت في صدر هذا الحديث: إن عددا من الثورات وقع منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى انتهاء خلافة الإمام علي بن أبي طالب، فأني هذه الثورات يحق أن يطلق على القائمين بها لقب الخوارج، مع ملاحظة الخروج عن الخلافة الشرعية والمروق من الدين؟
لتسهيل الإجابة على هذا السؤال أستطيع أن أقسم هذه الثورات إلى ثلاثة أقسام:-

الأول: ثورة ليس لها تعليل ولا أسباب غير عدم تمكن الإسلام في قلوب القائمين بها، وعدم إيمانهم الإيمان الصحيح بتكامل الرسالة المحمدية، ويتجلى هذا في الثورة الأولى، التي ارتد فيها فريق وامتنع فريق آخر عن أداء الزكاة.

الثاني: ليس لها أسباب ظاهرة معقولة: أما أسبابها الحقيقية الخفية، فهي النزاع على مناصب الدولة، من خلافة أو عمالة، ويتمثل ذلك في الثورة الثالثة التي قام بها طلحة والزبير، وفي الثورة الرابعة التي قام بها معاوية بن أبي سفيان.

القسم الثالث: ثورة استندت إلى أسباب ظاهرة يترأى للناس أنها



معقولة، ويتمثل ذلك في الثورة الثانية التي قتل فيها عثمان^(١٠)، وفي الثورة الخامسة التي اعتزل فيها جماعة من جيش عليّ بعد التحكيم وعزل أبي موسى الأشعري له.

فلو كان المقصود من كلمة الخوارج، هو الخروج السياسي عن خليفة تمت له البيعة الشرعية، لكان إطلاق هذه الكلمة على طلحة والزبير، أو علي معاوية وأتباعه، أو علي الثائرين على عثمان أظهر وأوضح، أما إذا لوحظ المعنى السياسي مع المعنى الديني فإنه لا يمكن إطلاق هذه الكلمة عليهم، كما أنه من العسير إطلاقها على المعتزلين لعليّ.

والسبب في هذا العسر أن هؤلاء الثائرين سواء كانوا من القسم الثاني أو من القسم الثالث إنما ثاروا غير منكرين لأصل من أصول الإسلام، ولا مكذبين بمعلوم من الدين بالضرورة، ومع كل طائفة منهم فريق من كبار الصحابة، فيهم بعض المشهود لهم بالجنة.

١٠- حيث كانت بمباركة من عدد كبير من الصحابة، بل شارك فيها عدد منهم كعمد بن أبي بكر وغيره، وليست ثورة قام بها عدد من الرعايا مثلما أشيع، إذ ليس من المعقول أن يقوم عدد من الرعايا بدخول معقل المسلمين ويحاصروا خليفتهم مدة شهر أمام مرأى ومسمع من الصحابة وهم لا يفعلون شيئاً !!!



روايات المروق

وبناء على هذا فإن أحاديث المروق - إذا صحت - لا يكون المقصود منها إلا أصحاب الثورة الأولى، أولئك الذين خرجوا على خلافة أبي بكر منكرين للشرعية أو لأصل من أصولها، فإن هؤلاء يستطيع الباحث أن يطلق عليهم كلمة الخوارج، وهو يقصد بهذه الكلمة معنيها السياسي والديني وهو مطمئن، لخروجهم عن خلافة مجمع عليها، وإنكارهم للإسلام جملة بعدما آمنوا به، أو تكذيبهم بركن ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، إنكارا استحقوا به أن يحاربهم خليفة رسول الله الأول حربا لا هوادة فيها، مصداقا لقوله عليه السلام: «لإن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود» - إن صح الحديث - وقد قتلهم خليفته رضي الله عنه قتل ثمود تحقيقا لخبره عليه السلام.

ويستأنس لهذا الرأي من توقعه صلى الله عليه وسلم أن يدركهم، فإن هذا يدل على قرب زمنهم منه، وأنه كان يأمل أن ينتقم لله منهم، ولكن إرادة الله شاءت أن يتأخروا عنه قليلا، وأن تكون فتنتهم إمتحانا لصلابة أبي بكر، وأن تكون عقوبتهم على يد الصديق رضي الله عنه، وكما يستأنس بهذا الحديث لهذا المعنى، كذلك يستأنس بحديث المروق في الرواية التي تقول (سيخرج أو سيمرق) فإن استعمال السين



يدل على قرب الخروج، ولم يكن أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الخروج الذي قضى عليه الصديق وحارب أهله حرب ثمود.

على أنني أقف وقفة طويلة عند هذه الأحاديث التي تصف فرقا من المسلمين بالمروق من الدين، ولو أنني لا أملك الآن الأسباب التي تحملني على الشك في صحتها.

ويظهر من سياق الحوادث أن هذه الأحاديث التي تتحدث عن الخوارج، لم تكن معروفة عند حدوث الثورات الأولى، وإلا فكيف أمكن أن لا تدور على الألسنة، وأن لا يوصف بها الخارجون عن الخلافة في زمن أبي بكر وعثمان وعلي، ولا الخارجون عن الدين في زمن الصديق؟ لماذا تبقى محفوظة لا يستفيد منها أنصار الخلافة أو خصومها في أربع ثورات جامحة ذهب ضحيتها عدد غير قليل من المسلمين الأبطال، إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه الأحاديث لم تكن معروفة عند وقوع هذه الثورات، وإنها إنما وضعت بعد ذلك قصدا للتشنيع على أهل النهروان، ولحمل عليّ على قتالهم والقضاء عليهم، خوفا من أن يتخرج عليّ من دمائهم، ويتردد في قتالهم، ويفكر تفكيراً منطقياً في أنه قد يكون لهؤلاء حق، ولرأيهم سند.

وقد كان عليّ شديد المحاسبة لنفسه، كثير التفكير في أعماله السابقة، يزِنُ ما أقدم عليه من أحداث، ويدل لهذا ما قاله أبو العباس





الشماخي في كتابه القيم (السير): (فقال الأشعث^(١١)): ناجز القوم، وإن كلموا الناس أفسدوهم علينا^(١٢)) فالشيعة الذين يحيطون بعليّ، وهم يكافحون لكي يبنوا دولة، يخشون أن يتصل أهل النهروان بالناس، وأن يقنعوهم بما لديهم من حجة وبرهان. أن قبول التحكيم خطأ في السياسة، وأن خلافة عليّ بعد التحكيم والعزل باطلة، وأن البيعة ساقطة عن الأعناق، وأن الخليفة الحق هو عبد الله بن وهب الراسبي، الذي بايعه جمهور غير قليل من المسلمين، كان الشيعة يخافون أن يتصل أهل النهروان بالناس، ولذلك فهم يريدون أن يقضوا على هذه الآراء قبل أن تنتشر في الناس، ويفهمها الجميع، ويقتنعوا بصحتها. ولا يمكن القضاء على هذه الآراء إلا بالقضاء على أصحابها، فلو تردد عليّ في هذا الأمر، وتحرز من إراقة الدماء، فإن كل شيء سوف يضيع، ولذلك فيجب أن يحمل بشتى الوسائل والطرق على اتخاذ هذه الخطوة الحازمة الحاسمة.

وقد استطاعوا أن يقنعوه، فافتتح برأي الأشعث، واتخذ هذه الخطوة، ونفذ فكرة المناجزة، فقضى على أهل النهروان، ولكنه لم يستطع أن يقضي على الفكرة التي دعوا إليها، هذه الفكرة التي تسربت بما فيها من صدق وصراحة وواقعية إلى كثير من العقول، حتى أصبحت مبدأ يناضل عنه معتقوه بصبر وشجاعة وثبات.

١١ - تقدم الكلام عن حال هذا الرجل.

١٢ - السير ص ٥٢





الخلاصة

وخلاصة البحث أن كلمة الخوارج، أطلقها بعض المؤرخين على أتباع عبد الله بن وهب الراسبي إطلاقاً تاريخياً وأدبياً، بحيث لا تنصرف إلى غيرهم، وليس في هذا كبير بحث، فإن إطلاق اسم على مجموعة من الناس ليس بذئ أهمية إذا كان هذا الإطلاق مجرد تسمية، أما إذا روعي فيه مدلول ديني فإنه يحسن بنا أن نترى قبل أن نطلق هذا الحكم الرهيب، الذي يسلطه التاريخ المفروض على رؤوس بعض الطوائف الإسلامية في قساوة وغلظة، في الحين الذي نعترف فيه أن هذه الطوائف تؤمن برسالة (محمد) وبتكاملها، وبما جاء فيها، وتستند في آرائها ونظرياتها إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.. وتعتمد في محاججتها على ما جاء في التنزيل، وورد في خبر المعصوم، وأجمعت عليه الأمة، التي لا تجتمع على ضلال، ولو أنهم انحرفوا في الفهم، وأخطأوا في التأويل.

وقد يعتقد بعض من يطلع على هذا الفصل أنني أريد الدفاع عن الخوارج، وتبرير أعمالهم، وتصحيح أخطائهم.

والواقع أنني لم أقصد إلى شيء من ذلك، وكل ما في الأمر أنه ساقني إلى هذا الحديث، المنطقية التي وجدتها في أبحاثهم ونظرياتهم في قضية الخلافة، وحاولت جهد المستطاع أن أصور الحوادث



والدواعي إليها في ذلك العصر دون أن أنساق مع تيار من التيارات،
وأجعل أحكامي أكثر دقة وتجرداً من المؤثرات السياسية والعاطفية
والمصلحية، التي أثرت على كتاب التاريخ والباحثين في العقائد في تلك
العصور السوابق. والله الموفق للصواب.

ويسرني أن أصرح في آخر هذا الفصل، أنني أجل أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم، وأنتني أدع له أصحابه امتثالاً لأمره عليه
السلام، فلا أقول فيهم إلا خيراً، وإنني أعلم أنه لو أنفق أحدنا مثل
أحد ذهباً فلن يبلغ مدّ أحدهم أو نصيفه، وحسبهم شرفاً أن الله
اختارهم لصحبة رسول الله، وأنهم الدفعة الأولى من حملة مشعل
الإسلام، ولعل الله اطلع عليهم فغفر لهم، كما قال عليه السلام في
أهل بدر.

أما أولئك الذين وردت فيهم أحاديث تعيب عليهم مسلماً أو قولاً
فإنني لا أتجاوز فيهم معنى تلك الأحاديث، وعهدتها على راويها وإنني
أستغفر الله من الزلل وأضرع إليه سبحانه أن يغفر لي ما قد يكون
انزلق إليه القلم مما لا يرضى عنه، إنه ولي التوفيق والهداية.





ملاحظة:

مواقع إلكترونية يمكن الرجوع إليها لمزيد البحث
والمعلومات عن الموضوع وما يتعلق بالمذهب الإباضي:

www.ibadiyah.com

www.istiqama.net •

baseera.net •

للتواصل: culture.exchange2@gmail.com





الفهرس

٢	مقدمة
٣	تمهيد
٥	السياق التاريخي
٨	التحكيم
١١	انقسام الأمة
١٣	الخوارج من هم ؟
١٦	تأطير الثورات
١٨	روايات المروق
٢١	الخلاصة



